

تفسير البحر المحيط

@ 411 أي لحم متبع ، ويتعلق بحرمانا . وتقدم السبب على المسبب تنبيهاً على فحش الظلم وتقبيحاً له وتحذيراً منه . والطيبات هي ما ذكر في قوله : { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلْبَانٌ وَيَعُضُ الطَّيْرُ وَالْحَوْتُ ، وَأُحِلَّتْ لَهُمْ صِفَةُ الطَّيْبَاتِ بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ . وَأَوْضَحَ ذَلِكَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ : طَيِّبَاتٌ كَانَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ . . . }
{ وَبِمَصَدِّهِمْ ° عَنِ سَيِّئِ اللَّهِّ كَثِيرًا } أي ناساً كثيراً ، فيكون كثيراً مفعولاً بالمصدر ، وإليه ذهب الطبري . قال : صدوا بجحدهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم (جمعاً عظيماً من الناس ، أو صد كثيراً . وقدره بعضهم زماناً كثيراً . . .)
{ وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّا وَقَدَّ نُهْوًا ° عَذِّهُ } وهذه جملة حالية تفيد تأكيد قبح فعلهم وسوء صنيعهم ، إذ ما نهى الله عنه يجب أن يبعد عنه . قالوا : والربا محرم في جميع الشرائع . . .
{ وَأَكْذَلَهُمْ ° أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ } أي الرشا التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب . وفي هذه الآية فصلت أنواع الظلم الموجب لتحريم الطيبات . قيل : كانوا كلما أحدثوا ذنباً حرم عليهم بعض الطيبات ، وأهمل هنا تفصيل الطيبات ، بل ذكرت نكرة مبهمة . وفي المائدة فصل أنواع ما حرم ولم يفصل السبب . فقيل : ذلك جزيناهم ببغيهم ، وأعيدت الباء في : { وَبِمَصَدِّهِمْ ° } لبعده عن المعطوف عليه بالفصل بما ليس معمولاً للمعطوف عليه ، بل في العامل فيه . ولم يعد في : { وَأَخَذَهُمْ ° } وأكلهم لأن الفصل وقع بمعمول المعطوف عليه . ونظير إعادة الحرف وترك إعادته قوله : { فَبِمَا نَقَضْتَهُمْ مِيثَاقَهُمْ ° } الآية . وبدء في أنواع الظلم بما هو أهم ، وهو أمر الدين ، وهو الصد عن سبيل الله ، ثم بأمر الدنيا وهو ما يتعلق به الأذى في بعض المال ، ثم ارتقى إلى الأبلغ في المال الدنيوي وهو أكله بالباطل أي مجاناً لا عوض فيه . وفي ذكر هذه الآية امتنان على وجه الأمة حيث لم يعاملهم معاملة اليهود فيحرم عليهم في الدنيا الطيبات عقوبة لهم بذنوبهم . . .
{ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ ° عَذَابًا * مُّهِينًا } لما ذكر عقوبة الدنيا ذكر ما أعد لهم في الآخرة . ولما كان ذلك التحريم عاماً لليهود بسبب ظلم من ظلم منهم ، فالتزمه ظالمهم وغير ظالمهم كما قال تعالى : { وَاتَّقُوا ° فِتْنَةَ لَاسٍ تُصْرِيحَنَّ ° الَّذِينَ ظَلَمُوا ° مِنْكُمْ ° خَاصَّةً } بين أن العذاب الأليم إنما أعد للكافرين منهم ، فلذلك لم يأت وأعتدنا لهم . . .

{ لا كِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ
وَالْمُؤْمِنِينَ فِي غَايَةِ الْحَسَنِ ، لَأَنهَا
دَاخِلَةٌ بَيْنَ نَقِیْضِیْنِ وَجَزَائِهِمَا ، وَهَمْ : الْكَافِرُونَ وَالْعَذَابُ الْأَلِیْمُ ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْأَجْرُ الْعَظِیْمُ ،
وَالرَّاسِخُونَ الثَّابِتُونَ الْمُنْتَصِبُونَ الْمُسْتَبْصِرُونَ مِنْهُمْ : كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْرَابِهِ ، وَالْمُؤْمِنُونَ
یَعْنِیْ مِنْهُمْ ، أَوْ الْمُؤْمِنُونَ عَنِ الْمُهَاجِرِیْنَ وَالْأَنْصَارِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ عَامٌ فِي مَنْ آمَنَ . .
وَارْتَفَعَ الرَّاسِخُونَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ، وَالْخَبْرُ یُؤْمِنُونَ لَا غَیْرَ ، لِأَنَّ الْمَدْحَ لَا یَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ
الْجُمْلَةِ . وَمَنْ جَعَلَ الْخَبْرَ أَوْلَئِكَ سَنَوْتِهِمْ فَقَوْلُهُ ضَعِیْفٌ ، وَانْتَصَبَ الْمُقِیْمِينَ عَلَى الْمَدْحِ ،
وَارْتَفَعَ وَالْمُؤْتُونَ أَيْضًا عَلَى إِضْمَارٍ وَهَمْ عَلَى سَبِيلِ الْقَطْعِ إِلَى الرَّفْعِ . وَلَا یَجُوزُ أَنْ یُعْطَفَ عَلَى
الْمَرْفُوعِ قَبْلَهُ ، لِأَنَّ النِّعْتَ إِذَا انْقَطَعَتْ فِي شَیْءٍ مِنْهُ لَمْ یَعُدْ مَا بَعْدَهُ إِلَى إِعْرَابِ الْمَنْعُوتِ ،
وَهَذَا الْقَطْعُ لِبَيَانِ فَضْلِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، فَكَثُرَ الْوَصْفُ بِأَنَّ جَعَلَ فِي جُمْلَةٍ . .
وَقَرَأَ ابْنُ جَبْرِ ، وَعَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ ، وَالْجَحْدَرِيُّ ، وَعِیْسَى بْنُ عَمْرٍو ، وَمَالِكُ بْنُ دِیْنَارٍ ، وَعَصْمَةُ
عَنِ الْأَعْمَشِ وَیُونُسُ وَهَارُونَ عَنِ أَبِي عَمْرٍو : وَالْمُقِیْمُونَ بِالرَّفْعِ نَسْقًا عَلَى الْأَوَّلِ ، وَكَذَا هُوَ فِي
مِصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ الْفَرَاءُ . وَرَوَى أَنَّهَا كَذَلِكَ فِي مِصْحَفِ أُبَيٍّ . وَقِيلَ : بَلْ هِيَ فِيهِ ،
وَالْمُقِیْمِينَ الصَّلَاةِ كَمِصْحَفِ عُثْمَانَ . وَذَكَرَ عَنْ عَائِشَةَ وَأَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ : أَنَّ كِتَابَهَا بِالْيَاءِ مِنْ خَطِّ
كَاتِبِ الْمِصْحَفِ ، وَلَا یَصِحُّ عَنْهُمَا ذَلِكَ ، لِأَنَّهُمَا عَرَبِیَانِ فَصِیْحَانِ ، قَطَعَ النِّعُوتَ أَشْهَرَ فِي لِسَانِ
الْعَرَبِ ، وَهُوَ بَابٌ وَاسِعٌ ذَكَرَ عَلَيْهِ شَوَاهِدٌ سَبَوِيَّةٌ وَغَیْرُهُ ، وَعَلَى الْقَطْعِ خَرَجَ سَبَوِيَّةٌ ذَلِكَ . .
قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : وَلَا نَلْتَفِتُ إِلَى مَا زَعَمُوا مِنْ وَقُوعِهِ لِحَنًا فِي خَطِّ الْمِصْحَفِ ، وَرَبَّمَا التَّفْتِ
إِلَيْهِ مَنْ یَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ وَلَمْ یَعْرِفْ مَذَاهِبَ الْعَرَبِ وَمَا لَهُمْ فِي النِّصْبِ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ مِنَ الْإِفْتِتَانِ
، وَعَنْیَ عَلَيْهِ : أَنَّ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ مِثْلَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي